رقم الترميز الدولي / ISSN (P): 2710-2653
ISSN (E): 2960-253X /
رقم الايداع الوطني / 2375 / 2019

تاريخ استلام البحث ٢١ / ١٠ / ٢٠٢٥
تاريخ قبول البحث ٢٤ / ١١ / ٢٠٢٥
تاريخ النشر ٣٠ / ١٢/ ٢٠٢٥

المرتكزات الفكرية لظاهرة الاسلاموفوبيا

Intellectual foundation of the phenomenon of Islamophobia

الباحث: أسامة عبد الحميد خضير

Researcher: Osama Abdul Hamid Khudair Hussein

جامعة بغداد/ كلية العلوم السياسية

University: Baghdad / College of Political Science

dymtrydymtry36@gmail.com

IRAQI Academic Scientific Journals

https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/229

الملخص

إن لظاهرة الاسلاموفوبيا مرتكزات فكرية تغذت عليها هذه الظاهرة لمده طويلة من الزمن، اذ يبحث الكثيرون عن المصادر الرئيسة لهذه الظاهرة، والتي تنوعت ابحاثهم في تحديد المرتكزات الفكرية للاسلاموفوبيا ويرجع اغلبهم هذه المرتكزات الى بداية ظهور الاسلام وانتشاره عن طريق الفتوحات التي قام بها المسلمون، كما يرجع اخرون الى بداية العلاقة المسيحية الاسلامية، لذا فان البحث وراء المرتكزات الفكرية لظاهرة الاسلاموفوبيا هو بمثابة دراسة للتأصيل الفكري لها، لا سيما وان الجذور الفكرية والتاريخية للاسلاموفوبيا ممتدة عبر الزمن ويتلخص هذا البحث بأن المرتكزات الفكرية لظاهرة الاسلاموفوبيا تكمن في النزعة المركزية الغربية والتطرف الفكري فضلا عن خطاب الكراهية.

الكلمات الافتتاحية : "المركزية الغربية" ،"التطرف الفكري"،" مفهوم الآخر"،"الاستشراق"

Abstract

The phenomenon of Islamophobia has intellectual foundations that have sustained it for a long period of time. Many seek the primary sources of this phenomenon, and their research has varied in identifying the intellectual foundations of Islamophobia. Most trace these foundations back to the beginning of Islam and its spread through the conquests carried out by MuslimsOthers trace the origins of Islamophobia back to the beginning of Christian-Muslim relations. Therefore, Investigating the intellectual foundations of Islamophobia is tantamount to studying its intellectual roots, especially since the intellectual and historical roots of Islamophobia extend across time. This research concludes that the intellectual foundations of Islamophobia lie in its Eurocentric tendencies.

Keywords: "Western centrism", "intellectual extremism", "the concept of the other", "Orientalism"

المقدمة

منذ ظهور مصطلحات مثل أوربا والغرب والشرق في الدراسات الفكرية والفلسفية وفلسفة التأريخ من جهة وفي الدراسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية من جهة اخرى ودخولها الى ميادين البحث العلمي، يلاحظ ان هذه المصطلحات ترافقها بشكل أو بآخر مفاهيم تبدو وكأنها مقترنة ومتلازمة معها ومن هذه المفاهيم هي النزعة المركزية الغربية الأوربية و الأمريكية منها والعالم الحر وعالم التقدم والتكنولوجيا، ويأخذ هذا التلازم والاقتران اشكالاً كثيرة بحيث لايوجد حقلا من حقول الدراسات الإنسانية والطبيعية ألا وتسيطر عليه هذه النزعة المركزية.

لذلك تستند النزعة المركزية الغربية إلى مفهوم (الأنا) ومفهوم (الآخر) فالغرب (الأنا) هو الذي يحدد المسارات والقيم العليا وهو الذي يحدد من هو البلد المتخلف ومن هو المتقدم، فالغرب الذي يعد نفسه مركز العالم والمنتج

الأوحد للقيم الإنسانية يضع ويقنن معايير التقدم والتخلف كما أن رؤية الحضارة الغربية لنفسها كمركز للعالم أدى الى ظهور وبروز مجموعة كبيرة من القيم والمفاهيم والنظريات التي تؤمن بمصلحة الحضارة الغربية بغض النظر عما اذا كانت هذه المفاهيم والنظريات ذات تهميش واقصاء ونبذ الآخر كما هو الحال في ظاهرة الإسلاموفوبيا ، وعليه برزت مفاهيم مثل المركزية الأوروبية و الأمريكية والتطرف الفكري وخطاب الكراهية شكلت بمجملها أبرز محطات الاسلاموفوبيا في الغرب .

أهمية الدراسة: يكتسب موضوع المرتكزات الفكرية لظاهرة الاسلاموفوبيا أهمية بحثية وأكاديمية كبيرة، وذلك لخطورة الظاهرة نفسها ، اذ يبحث الكثيرون عن المرتكزات الفكرية ولكن أغلب الأبحاث تشير إلى وجود مرتكزات ثانوية لا تتعدى العلاقة التصارعية بين الغرب والإسلام، إلا أن دراسة النزعة المركزية الغربية وتطرق وخطاب الكراهية الغربي يعد غاية في الأهمية لدراسة مصطلح أو ظاهرة الاسلاموفوبيا.

مشكلة الدراسة: تنطلق دراسة هذا البحث من مشكلة أساسية ماهي المرتكزات الحقيقية لظاهرة الاسلاموفوبيا ؟ والتي تفرعت منها عدة تساؤلات منها هل أن مرتكزات ظاهرة الاسلاموفوبيا تاريخية فقط؟ ام انها فكرية لا علاقة لها بالتاريخ ؟ وهل لهذا المرتكزات آثار كبيرة بحيث ساعدت على تنامي ظاهرة الاسلاموفوبيا ؟

فرضية الدراسة: تنطلق الدراسة من فرضية مفادها أن الحضارة الغربية تنظر لنفسها على أنها مركز العالم من خلال بعدها التاريخي والفكرية معا، بمعنى أن النزعة المركزية للحضارة الغربية شكلت تأصيلا فكريا لظاهرة الاسلاموفوبيا مما دفعها إلى تهميش الآخر وخصوصاً الآخر المسلم.

منهج الدراسة: تعتمد الدراسة هذه على المنهج الاستقرائي إلى جانب المدخل التحليلي والمدخل الوصفي، وذلك لأن مرتكزات ظاهرة الاسلاموفوبيا فكرية ووصفية ، وأن دراستها تتطلب استقراء الواقع بمختلف مراحله الزمنية ، مما يساعدنا على تحليل الظاهرة والوقوف على أبرز المرتكزات الفكرية والتاريخية للاسلاموفوبيا.

هيكلية الدراسة: قسمت هذه الدراسة إلى ثلاثة محاور ومقدمة وخاتمة ، فيما يخص المحور الأول تناولنا النزعة المركزية الأوروبية والمحور الثاني تطرقنا إلى النزعة المركزية الأمريكية، ويعرض المحور الثالث التطرف الفكري وخطاب الكراهية الغربي.

المحور الاول : النزعة المركزية الأوروبية

أولا: مفهوم (المركزية)(*) الأوربية.

تعد المركزية الغربية هي المهيمنة الآن على مختلف مناحي الحياة المعاصرة، وقبل الولوج في ثنايا هذا الموضوع لابد من معرفة ماهية تلك المركزية فقد تم تعريفها بانها: ((الممارسة الواعية او غير الواعية التي تركز على الاهتمامات الأوربية او الغربية عموماً في مجالات الثقافة والقيم على حساب باقي الثقافات))، (١) وهذا التعريف فيما يبدو أنه ناقص لكونه يقصر التمركز الغربي على الاهتمامات الاوربية من حين هي ليست تركيزاً على

الاهتمامات الاوربية وإنما فرض لرؤى المركز و اهتماماته وتوظيفها لخدمة مصالحه وطبعها بطابعه، كما أنه يقصر التمركز على مجالات الثقافة والقيم في حين هو أعم واشمل من ذلك أذ أنه يشمل جوانب الحياة كلها من سياسة واقتصاد و عقائد وغيرها،(٢)كما تعرف المركزية الأوربية على أنها: ((ايديولوجية غربية تستند الى التمركز حول الذات إذ تجعل من الذات مركزاً للعالم في حين يمثل اللاغربي الاهداف والهوامش والتي تفترض غلبة وجهة نظر الذات وصوابها)). (٣)

وتعني أيضا أحادية النظرة أو سيادة الرؤية الواحدة ازاء ما يعرض على مستوى الفكر والحياة الإنسانية بمختلف مناحيها وميادينها وهي الرؤية التي كانت على لسان المستشرق الفرنسي مكسيم رودنسون(١٩١٥-٢٠٠٤م) والذي قال: ((إن تشجيع التمركز حول الذات هي من طبيعة الاوربيين كانت موجودة دائما لكنها اتخذت الآن صبغة تتسم بالازدراء الواضح للآخرين وخصوصاً في ظل الإمبريالية منذ منتصف القرن التاسع عشر)). (٤)

ومعنى ذلك أن النزعة المركزية لأوربا هي نزعة لصيقة بالأنموذج الحضاري الغربي الذي يؤمن بمفهوم الواحدية الحضارية والتي ترى أن الحضارة الغربية هي وحدها العالمية والكونية والانسانية بل هي وحدها الحضارة التي يجب ان تكون الأنموذج الوحيد للتطور والتحضر، اما في الفكر العربي فيوضح (حسن حنفي) قائلاً: ((ان تغير ميزان القوى هو الذي يؤدي إلى هذه الحالة أذ ينسج المركز لنفسه صوراً نقيضة مثل العقلانية والإنسانية والتقدم والعلم في مقابل الحضارة الاخرى التي لم تعرف إلا السحر والخرافة والاوهام والنبؤات والخلود)). (٥)

ثانيا: المركزية الأوربية والآخر المسلم .

أن رؤية الغرب للشرق وللاسلام خصوصاً بوصفه احدى الثقافات التي انطلقت من الشرق وتشكلت هوية ذاتية وحضارية للشرق الأدنى والاوسط حسب المصطلحات الغربية(٦)، فضلاً عن ذلك هناك تفاصيل اخرى في موضوع المركزية الأوربية كمفهوم ترتكز عليه ظاهرة (الإسلاموفوبيا)على أن الاسلام كدين وثقافة يشكل صراعا حضاريا بين الغرب والإسلام يمثل تحديا للثقافة الغربية فقد نظر إلى الإسلام بوصفه جزءً من الشرق يشاطره غموضه وغرابته وفساده وقوته الكامنة،(٧)لذلك فأن التصورات الغربية عن الاسلام تؤكد على مفهوم الصورة النمطية التي تقدم الاسلام في الغرب على أنه يمثل في نظر الكثيرين بعثاً سلفيا لا يهدد بالعودة الى القرون الوسطى فقط بل بتدمير ما درجت العادة على تسميته بالنظام الديمقراطي في العالم الغربي. (٨) وبناءً على ذلك ناخذ بعض من النقاط الأساسية التي تعبر عن مركزية أوروبا ونظرتها تجاه الآخر المسلم ومنها

١. -المركزية الاوربية والآخر الثقافي والحضاري : أن أبرز ما يميز (الأنا) الغربية هو حبها لذاتها ومحاولة ارضائها بشتى الطرق والتمسك بمطالبها حتى وان كان تحقيق تلك المطالب هو بعينه هدر لمقدرات (الآخر)

وسلب لممتلكاته وحقوقه وتدمير حضارته ولقد بات في ضمائر مفكري الغرب وفلاسفته أن الأنانية وحب الذات من الأمور الفطرية التي لا تقبل مناقشات ولا محاورات تستجدي الموازنة والمقاربة بين الذات والآخر في تحقيق مطالب الأنا. (٩)

اذ يقول يوسف كرم: ((لقد زاد سلطان الإنسان الغربي على الأرض واتسعت السماء أمامه فأحس من الكبرياء والطموح مالم يحسه من قبل والتقى هذا الاحساس في نفسه فشار وكأنه رب نفسه وليس فوقه رب))، (١٠)كما يستدل في ذلك أيضا على اسهام الفيلسوف (هيجل) في تعميق صورة التمركز الغربي أو الأوربي القائم على اساس التفاوت بين الأسمى والارفع عقليا وثقافيا ودينيا والعالم الآخر (الادنى والاوسط) فصاغ بذلك غربا يتربع على هرم البشرية ولعل لهذا أثره الواضح في الايديولوجيات الغربية الحديثة والمعاصرة التي تحكم العالم الآن،(١١)أما آرنست رينان(١٨٢٣م-١٨٩٢م) والذي يعد من أبرز فلاسفة الغرب وأكثرهم تعصبا للعرق الآري على حساب ألاعراق ألاخرى وخاصة العرق السامي فالعرق السامي عنده يتسم بالكسل والخمول وضعف العقلية والتفكير على عكس العرق الآري الذي يعده رينان قمة السلالات البشرية إذ يتميز بالعقلية الشديدة وروح الابتكار والعلم والفلسفة لامتلاكهم حضارة متطورة وعلمية. (١٢)

اما بالنسبة للمسلم فأن الغرب لم يضن بجهد قليل في محاولاته المستمرة والمتنوعة لتشويه صورة الآخر المسلم فلم يترك الغرب فرصة لتشويه الإسلام الا واستغلها وانتفع بها على أقصى حد لها، خاصة وأن الغرب قد كثف معظم جهده في امرين: الأول أن الإسلام كدين وحضارة يجب ان يحسب له ألف حساب وأن يوضع في مكانه اللائق كقوة عقائدية خطيرة ومعادية لا يستهان بها، والثاني: إن الأمم والحضارات الاخرى غير الإسلامية لا تشكل لدى الغرب سوى كونها قوة مادية تنتهي بانتهاء تلك القوة.(١٣)من أجل جعل الإسلام في دائرة الأديان الوضعية غير المؤسسة على الوحي السماوي ليحجب عن الاسلام اهم خصائصه المتمثلة في سماوية المصدر وعصمة الوحي حتى يسهل على الغربيين تصديق أن المسلمين هم جماعة متمردة خارجة عن الاطار الحضاري وتتسم بالعنف والوحشية وتنتهج السطو على الأمم الاخرى ونهب خيراتها وثرواتها. (١٤)

إن تلك الصورة النمطية نابعه من استعلاء المجتمع الغربي بما حققه من مركزية وتطور مختلف في مجالات الحياة، إذ أثرت التحولات السياسية والاقتصادية على توجهات المنظرين الغربيين الذين ذهبوا الى أن الابعاد الحضارية والثقافية والمعتقدات الدينية هي التي توجه العلاقات بين الشعوب وأن المصالح الدولية أو الاقليمية تأتي في المرتبة التالية من الأهمية. (١٥)

لقد كان لتجليات المركزية الأوربية وقعاً كبيرا على عدة مفاهيم شكلت مظاهر تجلت فيها المركزية الأوربية ومنها العولمة و العلمانية ، فبالنسبة للعولمة التي تعد شكلا من أشكال المركزي الأوربية حول الذات ومحاولة الغرب

المستمرة لاخضاع الآخر إلى ارادته، وحين نبحث عن تعريف العولمة نراها في الانكليزية (Globalization) اي انها استثمرت ممكنات العلم والتقنية والاعلام في اشاعة افكار مركزية أوربا، (١٦)أما العلمانية فهي الاخرى التي تعد تجليا من تجليات مركزية الغرب وهي رؤية عقلانية مادية تدور في اطار المرجعية الكاملة والواحدية المادية التي ترى أن مركز الكون والعالم بأسره مكون من مادة واحدة ولا قداسة لها وهي في حالة حركة دائمة لا غاية لها ولا هدف كما هو حال المركزية الغربية إذ تعمل العلمانية على تعزيز وتمكين هذه المركزية. (١٧)

٢- الاستشراق والاستشراق المجدد: لقد انطلقت دول المركز في تحديد آليات للسيطرة على دول الاطراف من خلال تلك السمة التي اتصفت بها وهي سمة التمركز حول الذات، وأن الدراسات الاستشراقية من بين هذه الآليات للتأكيد على ما هو غريب ومشين ومذهل في الثقافات الاخرى خصوصا الحضارة الاسلامية فضلا عن شعور دول المركز بالتفوق والاستهجان وتميز رواتها إلى الاستعاضة عن الحقائق بالتخيلات العدائية،(١٨)ويعد الاستشراق الأداة المعرفية التي تنطلق من طريقها قوى المركز في دراسة حضارة الشرق وثقافته للتوصل إلى السيطرة عليه ومنعه من اي محاولة للتخلص من تلك السيطرة،(١٩)وفي ذلك يقول الاستاذ (محمود محمد شاكر) ((ان الاستشراق هو عين الاستعمار التي بها يبصر ويحدق ويده التي بها يحس ويبطش ورجله التي بها يمشي ويتوغل وعقله الذي به بفكر ويستبين)). (٢٠)

كما فصل (ادورد سعيد) مهام الاستشراق بأنها: ((توزيع للوعي الجيو- سياسي إلى نصوص جمالية وبحثية واقتصادية واجتماعية وتاريخية وفقه لغوية بل كذلك سلسلة متكاملة من المصالح التي لا يقوم الاستشراق بخلقها فقط بل بالمحافظة عليها أيضا بوسائل كالاكتشاف البحثي والتحليل النفسي والوصف الطبيعي والاجتماعي هو بوضوح إرادة لفهم عالم مختلف السيطرة عليه والتلاعب به بل حتى ضمه)). (٢١)

لقد سادت الدراسات الاستشراقية نوع من المقارنة غير المنطقية، إذ اخضع تأريخ الإسلام ونظمه الاجتماعية للمعايير الغربية بحيث صارت التجربة الأوربية تمثل المرجع الذي يجب ان تحتذيه المجتمعات الاخرى واسقط التأريخ الأوربي على التأريخ الاسلامي بحيث اصبحت عصور الظلام في اوربا ظلاماً في العالم كله بالرغم من انها كانت من اكثر مراحل الحضارة الانسانية ازدهاراً في البقاع غير الأوربية،(٢٢)حيث دُرس الإسلام سواء عقيدة أو سيرة وتاريخ بمفاهيم غربية معاصرة فالمستشرق اما ان يكون علمانياً مادياً لا يؤمن بالغيب وأما ان يكون يهوديا أو نصرانيا لا يؤمن بصدق الرسالة التي اعقبت النصرانية فما بين الرواسب الدينية والنزعة العلمانية درس الاسلام من خلال رؤية وضعية منحصرة على المنظور ترفض كل ماهو روحي أو غيبي على اساس سقوط في مظلة الخيال والخرافة واللاعلمية. (٢٣)

أن الاستشراق في منطقه المتعالي ينسجم تماما مع نظرة الاستعلاء والعنصرية الغربية فالغرب كان منذ الاغريق والرومان وحتى هذه اللحظة يرى نفسه معدن الحضارة لاسيما وأن الروح الآرية هي التي ابدعت كل جديد في السياسة بمعناها الحقيقي والفن والآداب التي لا يمتلك الساميون منها شيئاً على الاطلاق وأن مستقبل البشرية مرهون بالشعوب الأوربية وحدها وهناك شرط ضروري لتحقيق هذا الهدف وهو تدمير قوة الاسلام الثيوقراطية، ثم جاءت نظرية (التفوق النوردي) وهي فرع من فروع نظرية التفوق الآري التي تحيا في المانيا يتزعمها جوزيف آرثور بينو(١٨١٦م-١٨٨٢م) إذ يرى ((ان الشعوب الآرية وحدها دون غيرها هي التي خلقت كل ماله قيمة في الحضارات وحافظت عليه واستندت اليها الفضائل جميعا وقيل انها منبع الحضارات العالمية جميعا من قديم الزمان إلى حديثه)). (٢٤)

اما الحالة الاخرى من حالات الاستشراق فتتمثل في مستشرقين تناولوا الإسلام بمختلف جوانبه فالمستشرق الأمريكي ماكدونالد والذي عمل كثيرا بالتبشير المسيحي وعمل منذ عام ١٩١١م مديرا للقسم الاسلامي في مدرسة البعثات بهار تفورد، ان اجتهادات ماكدونالد كلها افضت الى ما صار عنده فكرة ثابتة مترسخة وهي : ((ان المسلمين اليوم محتاجون الى أن ينقذوا من طرف البعثات المسيحية النشيطة ليس على الصعيد الانساني فحسب وإنما ايضا لكي يسترجعوا شعورهم بالغيب والتعالي في اطار ديانة الثالوث المسيحي عن طريق الارساليات التبشيرية)).(٢٥)

المحور الثاني : النزعة المركزية الأمريكية

لا تختلف النزعة المركزية الأمريكية عن الأوربية بل تعد أقوى انموذج للحضارة الغربية، إذ تقسم هذه المركزية العالم على غرب (المركز) والشرق (الاطراف) وتصور الغرب المركز بسمات العقلانية، الديمقراطية، الليبرالية، الحرية، العلم، الإبداع، الانضباط ، المدنية والتسامح ، في مقابل الشرق (الأطراف)غير العقلاني، المستبد، الاستعباد، الجهل الخرافة، التقليد، الخمول، والروح المعنوية الهابطة،( )وفي ذلك يقول السياسي الأمريكي كريس سميث(١٩٥١م -) ((ان الغرب كان أول حضارة تطور العلم تطويرا كاملاً والمجتمع الليبرالي هو انجح صيغة تم ابتداعها حتى الآن ويمكن مزجها لأقتصاد نابض بالحيوية والحراك مع مجتمع يتحلى بأعلى المثل العليا الكرامة الإنسانية الاستقلال الذاتي)) . (٢٦)ولغرض تسليط الضوء على المركزية الأمريكية لابد من الوقوف عند ابرز المحطات التي عبرت وساعدت على صعودها في الهيمنة على العالم ومنها :

بعد انهيار الكتلة ألاشتراكية بزعامة الاتحاد السوفيتي (السابق) وسقوطه كقوة عظمى عام١٩٩١م، وانتصار المعسكر الغربي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية أثارت هذه التطورات الكبيرة جدلاً فكريا وسياسيا واسعا بين قادة الفكر واساتذة العلوم السياسية والاجتماعية والعلاقات الدولية ورجال الإعلام والسياسة في الولايات المتحدة الأمريكية بصفة خاصة والعالم الغربي بصفة عامة، (٢٧)لقد كان هذا الجدل في الحقيقة يدور حول مستقبل

النظام الدولي وطبيعة العلاقات الدولية وابعاد النظام العالمي الجديد وان نهاية الحرب الباردة مهدت للطروحات التي قدمت مثل (نهاية التاريخ) للفيلسوف الأمريكي (فرانسيس فوكوياما) و(صدام الحضارات) ايضا للمفكر الأمريكي (صموئيل هنتغتون) تأتي ضمن سياق المشروع الفكري في الدول المتقدمة لفهم اللحظة الحضارية المستجدة واستكشاف آفاقها وفرصها وتحدياتها ومساراتها المستقبلية المحتلة كما تعبر عن مركزية الولايات المتحدة الأمريكية ايضاً. ومن المحطات الأساسية للمركزية الأمريكية هي:

١. نهاية التاريخ والانسان الاخير فرانسيس فوكوياما(١٩٥٢م-) :

يعد (فرانسيس فوكوياما) عالم سياسة واقتصاد سياسي واستاذ جامعي أمريكي اشتهر بكتابه (نهاية التاريخ والانسان الاخير) الصادر عام ١٩٩٢م والذي جادل فيه بانتشار الديمقراطية الليبرالية والرأسمالية والسوق الحرة في العالم ، كون الديمقراطية الليبرالية بإمكانها فعلاً أن تشكل منتهى التطور الايديولوجي للانسانية والشكل النهائي لأي حكم انساني، اي انها من هذه الزاوية تمثل نهاية التاريخ على حين كانت اشكال الحكم القديمة تتميز باخطاء وتناقضات لا يقبلها العقل أدت إلى انهيارها فإنه بالإمكان الادعاء أن الديمقراطية الليبرالية خالية من هذه التناقضات الأساسية،(٢٧)وفي هذا يقول فرانسيس فوكوياما☹(ان الديمقراطية الليبرالية تبقى التطلع السياسي الوحيد المتماسك الذي يربط مناطق وثقافات مختلفة في انحاء الكرة الأرضية جميعها)).(٢٨)

كذلك يذكر فرانسيس فوكوياما إن ((الليبرالية هي النظام السياسي الثري والوحيد للمجتمعات الحديثة فهي تصوغ السياسة طبقا للعدل))، (٢٩)أما على صعيد الأحداث السياسية العالمية التي رافقت اطروحة (فرانسيس فوكوياما) فقد ترتبت على ذلك احساس الغرب بانتصار قيم الديمقراطية وحتمية فرضها على المجتمع الدولي كوجه من وجوه الهيمنة الأمريكية وفي ذلك يقول الرئيس الأمريكي الأسبق نيكسون(١٩١٣م – ١٩٩٤م) ((تصاعدت آمالنا مع وقوع الأحداث التاريخية الكبرى الواحد تلو الآخر، لقد انهارت الانظمة الشيوعية وسقط جدار برلين واتخذ الرئيس السوفيتي جرباتشوف اصلاحات سياسية وشاعت في وسائل الإعلام الرسمية والجامعات و اوساط الفكر قناعة ببروز نظام عالمي جديد يسوده السلام والحرية)) (٣٠)، أما على الصعيد الاقتصادي فأن اقتصاد الولايات المتحدة الأمريكية اتجه نحو السوق الحرة والذي تحاول أمريكا عولمته الى العالم، إذ تجدر الاشارة الى تلك التحولات والتطورات التي شهدها العالم نحو اقتصاديات السوق وحرية التجارة والتنافس على عضوية منظمة التجارة العالمية لا يمكن تفسيرها بمعزل عن الاوضاع السياسية الدولية وواقع الاقتصاد الرأسمالي العالمي الذي تسيطر عليه الولايات المتحدة الأمريكية واوربا الغربية واليابان بمعنى ان الولايات المتحدة الأمريكية على حد رأي فرانسيس فوكوياما قد امتلكت مركزية في الاقتصاد العالمي وفي كيفية توجيهه نحو العالم.(٣١)

ان الأساس الذي قامت عليه فكرة نهاية التاريخ هي منطلقات فكرية وايديولوجية وتاريخية لتوسيع النفوذ السياسي والاقتصادي لتدعيم المركزية العالمية للولايات المتحدة الأمريكية، وقد وجدت الولايات المتحدة نفسها في وضع عبر عنه (تشارلز كروتمر) وهو صحفي امريكي واحد المحافظين الجدد بقوله انه ((انعطاف حاسم في تأريخ لم يشهد له مثيل)). (٣٢)

أما الخطر الذي تنبأ به فرانسيس فوكوياما فقد تجسد بقولة : ((ان الديمقراطية الليبرالية ستسود العالم الى النهاية في مقابل تلاشي الإسلام وضعفه في احياء حضارة تستطيع مواجهة الغرب المتحضر، ووصف الإسلام يشكل خطراً على النظام الليبرالي الديمقراطي)) (٣٣)، وبهذا يعد فوكوياما إن الإسلام هو الذي يشكل التشاؤم والخوف بالنسبة الى الغرب ومصدر قلق وانشغال ويواصل فوكوياما في محاولة للاحباط والتقليل من الإسلام بالتأكيد على أن الاسلام ((لم يعد يمارس اي جاذبية خارج الدول والشعوب غير الإسلامية وأن زمن الغزو الثقافي للاسلام لغيره قد انتهى بل أن الإسلام هو الذي يتعرض للغزو الثقافي الغربي)) (٣٤)، إذ يعتمد فوكوياما بمقارنة بين القيم الغربية التي يمثلها النظام الليبرالي والقيم الإسلامية، فالغرب تأسس على القيم السامية مثل التسامح والانفتاح والديمقراطية على عكس الإسلام الذي يشكل النظام المتشدد غير المتسامح مع غيره والذي يتبلور في صورة الارهاب، وهذا ولا شك اتهام وتحامل على المسلمين وتحريض على كراهيتهم كما تعد فكرة فوكوياما هذه ركيزة (للأسلاموفوبيا) في أن تجد ارضية خصبة تترعرع عليها. (٣٥)

إن نظرية فرانسيس فوكوياما ترسخ التصادم مع الثقافات الاخرى لاسيما الإسلامية، من خلال ما تنطوي عليه نظريته من التفوق الأمريكي والغربي والشعور بالمركزية والانا وعولمة الديمقراطية الليبرالية ونشرها، إذ إن التصادم حصل نتيجةً لنظرية فوكوياما بطريقتين الأولى: نشر الديمقراطية وتحريك الشعوب العربية على انظمتها، وليس ادل على ذلك مما حدث في الجزائر إذ فازت (الجبهة الإسلامية للانقاذ) بالانتخابات النزيهة في الجزائر ثم بتحريك من الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها فانقلب الجيش الجزائري على الانتخابات النزيهة وتسبب في مجازر مروعة وحسبت الديمقراطية لصالح الحكم العسكري الذي لا تحبذه الدول الاسلامية، أما حالة فلسطين ففي عام ٢٠٠٦م إذ فازت (حركة المقاومة الإسلامية حماس) في الانتخابات النيابية غير أن هذا التحول الديمقراطي وجه من أمريكا بالحصار وسلوك السبل كلها نحو اضعاف حركة حماس واسقاطها من الحكم، أما الطريقة الثانية للتصادم الذي خلقته نظرية نهاية التاريخ فهي النفط لأن فكر فوكوياما ساهم في احتلال العراق عام ٢٠٠٣م، فبالمقياس الفوكويامي يعد العراق دولة متخلفة لديها بترول تحتاجه الدول المتقدمة اي الولايات المتحدة الأمريكية، فضلا عن أفغانستان التي تعد دولة متخلفة ايضا وتمتلك حاضنة للارهاب يجب القضاء عليه. (٣٦)

لقد انسحبت الولايات المتحدة الامريكية من أفغانستان في عام ٢٠٢١م، فبعد عشرين عاماً من الاحتلال العسكري لأفغانستان وحالة الفوضى التي شاهدناها في مطار كابل دليلاً كافيا على خطأ تصورات فوكوياما، فهناك أنموذج صيني غير ليبرالي وغير ديمقراطي فيه كثير من سمات الاستبداد الا أنه نجح في تحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية وتكنولوجية بنسب غير مسبوقة، وعليه فأن نظرية نهاية التاريخ كانت وفي اجزاء كثيرة منها داعمة لظاهرة (الإسلاموفوبيا) من خلال التصادمات والتعارضات الفكرية التي تخلقها هذه النظرية. (٣٧)

٢. صدام الحضارات صموئيل هنتغتون(١٩٢٧م – ٢٠٠٨م) :

مهد (صموئيل هنتغتون) لنظريته وفي اكثر من مرة على ضرورة وجود الأعداء وحمل الكره للآخرين في مقال له نشرته صحيفة الشئون الخارجية في عام ١٩٩٢م فقال: ((ليس هناك اصدقاء حقيقيين بدون وجود اعداء حقيقيين، إننا مالم نكره الآخرين فلن نستطيع أن نحب انفسنا)) . (٣٨)

وتقوم نظرية (صموئيل هنتغتون) التي نشرها عام ١٩٩٦م بالنظر الى ان السياسة العالمية ستشهد طورا جديداً من اطوار الصراع تكون فيه الثقافة هي الباعث الرئيسي فيه فيحل بذلك الصراع الثقافي بدل الصراع فيما كان يعرف بالحرب الباردة فقال: ((إن المصدر الأساس للنزاعات في هذا العالم الجديد لن يكون مصدرا إيديولوجيا أو اقتصاديا في المحل الأول فالانقسامات الكبرى بين البشر ستكون ثقافية والمصدر المسيطر للنزاع سيكون مصدرا ثقافيا وستظل الدول القومية هي اقوى اللاعبين في الشؤون الدولية لكن النزاعات الأساسية في السياسات العالمية ستحدث بين أمم وجماعات مختلفة الثقافات وسيسيطر الصدام بين الحضارات على السياسات الدولية ذلك أن الخطوط الفاصلة بين الحضارات ستكون هي خطوط المعارك في المستقبل)). (٣٩) ، وبالعودة إلى التأريخ نرى إن الصراع بين المجموعات البشرية قد انتقل من صراع بين القبائل والعشائر إلى صراع بين الدويلات وصولا الى الصراع بين الدول بمفهومها الحديث، فمنذ نهاية الحرب الباردة اتجه الصراع لأن يكون صراعا ثقافيا حضاريا، ويرجع ذلك حسب صموئيل هنتغتون إلى أن : ((ما يهم الناس ليس الايديولوجية أو المصالح الاقتصادية بل الإيمان ،الأسرة والعقيدة فذلك يجمع الناس وما يحاربون من اجله ويموتون في سبيله))، (٤٠)

أما الصدام مع الحضارة الاسلامية فقد أكد (صموئيل هنتغتون) في نظريته (صدام الحضارات) على وجود تصادم بين الغرب والإسلام، اذ اضاف أن الحضارتين الغربية والإسلامية لا يمكنهما الاندماج وان التصادم بينهما قائما لا محالة وأن الذي سيرسم ملامح العالم هي الحضارة الغربية لأنها تمتلك مركزية حضارية وطروحات فكرية وأن مشروع صدام الحضارات ينطلق من أمريكا والأسباب متعددة منها العمق الحضاري وما تطرحه من شعارات الديمقراطية وحقوق الانسان والقضاء على الإرهاب والتجديد والعولمة وغيرها من المفاهيم التي صدرتها إلى دول العالم الثالث وبخاصة الدول الاسلامية. (٤١)

ويبين هنتغتون أن الصراع بين الحضارات يختلف في حدته ويتباين في مساحته الا أن اكثره عنفا وتوترا هو الصراع الذي ينتشر بين المسلمين، ووصف هنتغتون أن للمسلمين علاقات عدائية وعنيفة على طول محيط الإسلام، والمسلمون لديهم مشكلات للعيش بسلام مع جيرانهم، فعلى الرغم من أن المسلمين يشكلون حوالي خمس سكان العالم الا أنهم اكثر الشعوب التي دخلت في صراعات دموية في اواخر التسعينيات من القرن العشرين، ويستدل على ذلك بمجموعة احصاءات استند عليها كقوله : ((ان المسلمين شاركوا في ٢٦ من ٥٠ صراعا ضمن الحضارة الاسلامية و ١٥ صراعا بين المسلمين وغيرهم في حين كان مجموع الصراعات بين الحضارات الاخرى لا يتجاوز خمسة صراعات))، (٤٢) وقد تحامل هنتغتون على المسلمين كثيرا واتهمهم بشيء هم براء منه خاصةً عند ذهابه بعيدا عندما وصف أن حدود الإسلام دموية وهذا الكلام لا يشكل رمزية تاريخية فقط بل له خطورته،(٤٣)فهو يقوم بتجريم الإسلام وتحميله مسؤولية الصدامات والحروب التي شهدها منذ ظهور ما اسماه هنتغتون بخط التوتر الممتد من اوربا الغربية إلى الشرق الأوسط عبر البلقان إلى افريقيا وآسيا. (٤٤)

وعلى الرغم من أن هنتغتون أقر بوجود الاصولية في مختلف الديانات الا أنه لم يهدد ولم يخوف الا من الدين الإسلامي مستشهدا بحجج واهية لا تقوى على الاستدلال، ليكون بهذا مشاركاً في موجه (الإسلاموفوبيا) التي تجتاح اغلب الاوساط الفكرية والسياسية والاستراتيجية في الغرب.(٤٥)

لقد أكدت أحداث ١١ايلول عام ٢٠٠١م نظرية صدام الحضارات وان التصادم بين الغرب والإسلام اصبح مؤكداً، ولكن هذا التصادم كان من جانب المبادئة الامريكية لتنفيذ إستراتيجيتها في منطقة الشرق الأوسط انطلاقا من مركزيتها العالمية في نشر الديمقراطية والقضاء على الإرهاب والذي تعتقد الولايات المتحدة الأمريكية ان مصدره الإسلام، وتنفيذا للخطاب الأمريكي تم تشويه صورة الإسلام والمسلمين واساءة معاملة المهاجرين المسلمين في الغرب وأمريكا وتأسيسا لما تقدم فأن هذه السياسة الأمريكية التي أكدت على المجابهة مع الحضارة الاسلامية إنما هي تعبيرا عن عدة مفاهيم منها استمرار العداء الغربي للاسلام والهيمنة على البلاد الاسلامية فضلا عن تعزيز مركزيه الولايات المتحدة الأمريكية وشحن الكراهية ضد الاسلام بما يعرف بظاهرة (الإسلاموفوبيا). (٤٦)

المحور الثالث : التطرف الفكري وخطاب الكراهية الغربي

أولا: التطرف الفكري.

بالعودة إلى التاريخ نجد أن النظرة الأوربية المتطرفة إلى الإسلام قد ارتبطت دائما بالجذور التاريخية لعلاقة الغرب بالإسلام لاسيما وأن الإسلام قد بلغت ذروته في القوة آنذاك، وأن هذه النظرة المتطرفة انبثقت من اختلافات عقائدية وحالة توتر بين الطرفين ما نجم عن ذلك صدامات بين الجانبين، أن المزاج العام العقلية الأوروبية والذي بدأت

تتحكم فيه عدة ظواهر سادت في العقدين الأخيرين من أهمها ظاهرة الاسلاموفوبيا ومسألة العداء للأجانب بسبب تزايد عدد المهاجرين في المجتمعات الأوروبية فضلاً عن التناقص الديمغرافي للقارة العجوز، وهذه الظواهر جميعها أحيت المكبوت الديني إلى الظهور بقوة مما عزز من اندفاع الغرب نحو التطرف ونبذ الآخر.

وقد اصبحت الاحزاب اليمينية قادرة على الضغط باتجاه الغاء اتفاقية (شينغن) (*) التي تعدها سبب تنقل الارهابيين بحرية في الداخل الأوربي ، وتتخذ الأحزاب المتطرفة من الخطر الديمغرافي والامني للمهاجرين غير الشرعيين ذريعة لكسب التأييد الشعبي ولمحاولة الوصول الى السلطة والغاء اتفاقية شينغن ولكن الاتحاد الأوربي لا يستغني عن هذه الاتفاقية بسهولة بل سيعمل على تعديلها وتحسينها لمواجهة التحديات الانسانية التي تفرضها الهجرة، وفي اسوء الحالات قد يتوقف العمل بها مدة محدودة ريثما يتم ايجاد حل لازمة الهجرة غير الشرعية.(٤٧)

على الرغم من بعض الاختلافات في الاولويات المحلية لبعض الاحزاب اليمينية المتطرفة في اوربا ، فان هذه الأحزاب تشترك في موقف موحد تجاه الحد من الهجرة بشكل عام سواء كانت شرعية ام غير شرعية بحيث تصور المهاجرين بأنهم السبب الرئيس للبطالة والجريمة ومظاهر اخرى لتدهور الامن الاجتماعي وكمستغلين للتقديمات الاجتماعية والصحية التي توفرها الدولة،(٤٨) وتعارض هذه الأحزاب اليمينية هجرة العرب و المسلمين وتعدها السبب الكامن وراء الاعمال الارهابية التي تتعرض لها اوربا فهي ترى ان الارهابيين يتسللون مع المهاجرين ومن ثم ينتقلون بسهولة بين الدول الأوربية بسبب عدم وجود اجراءات تدقيق على الحدود الداخلية بين هذه الدول، وقد عبر عن هذه الفكرة رئيس وزراء هنغاريا فيكتور اوربان(١٩٦٣م _) اذ عد ان السؤال المطروح هو ليس ما اذا كان المهاجر ارهابيا فهم كلهم ارهابيون انما السؤال هو متى وصل الى اوربا .(٤٩)

ان احزاب اليمين المتطرف عموما في الغرب تعد هجرة العرب المسلمين عملية منظمة لغزو اوربا والغرب بصورة عامة فمعظم المهاجرين يأتون من سوريا والعراق إذ تنتشر التنظيمات الارهابية لا سيما تنظيم (داعش) وغالبيتهم من الرجال غير المتزوجين ففي العام ٢٠١٤م شكل الذكور ٧١% منهم.(٥٠)

ومن ابرز الاحزاب اليمينية المتطرفة في الغرب حزب (الشعب الدنماركي) فهو اكثر الاحزاب تطرفا في الدنمارك ويرفض هذا الحزب تأسيس مجتمع من المهاجرين في الدنمارك ويسعى بقوة القانون للحد من تدفق اللاجئين،(٥١) ويتبنى حزب (الجبهة الوطنية) الفرنسي اجندة انفصالية عن الاتحاد الأوربي كما يعادي بشدة العملة الموحدة واستقبال المزيد من اللاجئين المسلمين خصوصا بعد احداث تشرين الثاني عام ٢٠١٥م في باريس .(٥٢)

ويشبهه في ذلك حزب (الحرية) الهولندي بتبنيه موقفا معاديا للإسلام وللاتحاد الاوربي كما يرفض هذا الحزب انضمام دولة مسلمة كتركيا للاتحاد الأوربي ويستند منهجه الى التراث المسيحي في اوربا ، ويعمل حزب (

الاستقلال) البريطاني المعادي للاسلام على حماية الهوية الانكليزية من المهاجرين ويطالب بانسحاب بريطانيا من الاتحاد الأوربي ويكافح (حزب السويد الديمقراطي) بشكل مستمر من اجل الوصول الى السلطة ويرفض القوانين الميسرة الهجرة. (٥٣)

بينما تعد احزاب اليسار في اغلب الدول الاوربية ان ازمة الهجرة غير الشرعية هي ازمة انسانية بحتة وينبغي التعامل معها على هذا الاساس، فقد عانت هذه الاحزاب اليسارية في الاعوام الاخيرة ولا تزال تراجعا في شعبيتها بسبب سياستها هذه في مقابل تنامي شعبية الاحزاب اليمينية المتطرفة وتعد ان خطاب هذه الاخيرة يغذي مشاعر الحقد والكراهية للمهاجرين المسلمين لدى سكان اوربا الاصليين .(٥٤)

ولقد عبر معظم قادة الغرب عن تخوفهم من خطر التطرف خصوصا مع الصعود المتواصل لاحزاب اليمين المتطرف، اذ عد رئيس وزراء فرنسا (السابق) مانويل فالس والذي شغل منصب رئيس وزراء فرنسا من عام ٢٠١٤م الى ٢٠١٦م إن ((ربح اليمين المتطرف في الإنتخابات يعني الحرب الاهلية))،( )فيما عبرت المستشارة الالمانية (انغيلا ميركل) عن تخوفها من ان تؤدي عدائية هذه الاحزاب تجاه المسلمين الى انقسام المانيا.(٥٥)

اما عن الارهابي (برينتون تارانت) مرتكب مجزرة المسجدين في نيوزلندا وهو ليس الشخص الاول في سلسلة جرائم العنصرية والتطرف الغربي، اذ راح ضحية هذا الحادث الاجرامي ٥١ شخصاُ من المصلين المسلمين في نيوزلندا، كما يحظى التطرف الفكري في الغرب برواج زائد خارج المحاسبة القانونية والسياسية والحزبية والاعلامية بل تتوفر له روافد قوية ومتعددة داعمة له ويترجم هذا الدعم بأصوات في صناديق الاقتراع فيدخل المتطرفون البرلمانات ويشكلون حكومات سواء كاملة او بالتشارك مع احزاب اخرى مثل (ايطاليا والنمسا)، وفيما يخص مدة رئاسة الرئيس الأمريكي (السابق) ترامب فقد جعلت العالم اسوأ مما كان فهو يشعل الصراعات و يؤجج الكراهيات والعرقيات كما ان امريكا نفسها تقع تحت هذه العجلة المتطرفة مثلما جرى في احداث (شارلوتسفيل) الدامية في عام ٢٠١٧م و دعمه المضاعف لأسرائيل من منطلقات دينية انجيلية صهيونية .(٥٦)

ومن ناحية الترويج لمقولة (عدوانية الاسلام وعدم قبوله للآخر) وهي مقولة يكثر الترويج لها على المستويات كلها ليس على المستوى السياسي و الاعلامي فحسب بل وعلى المستوى الفلسفي ويمكننا الاشارة الى ما ذكره كلود ليفي ستروس (١٩٠٨م _ ٢٠٠٩م) حيث قال في معرض حديثه عن الاسلام((ان الاسلام دين كبير لا يرتكز على بداهة الوحي بقدر ما يرتكز على عجزه عن اقامة علاقات طبيعية مع الخارج)).(٥٧)

وقد تشكلت في العقل الأوربي صورة مشوهة للإسلام فهو رمز للرعب والتخريب وهي كلها تصورات غربية انتجها العقل والخيال الاوربيان في سبيل الدفع الى التطرف نحو الآخر، وأن تلك التطورات هيمنت على الوعي الأوربي حتى وقتنا الحاضر لا سيما وان الحضارة الغربية ورثت تركة العصر الوسيط فيما يتعلق بالنظرة الى الاسلام،(٥٨) فالظاهرة الدينية كانت مسيطرة على عقول الناس حسب ما تقتضيه المصلحة الشخصية خاصة في اوربا في زمن الاقطاع وظهر هذا من خلال الاعتماد على تحريف الكتب السماوية كل حسب ما تمليه عليه غرائزه الدنيوية حتى وان تطلب ذلك افكار تمس بقلب المؤمن وتزعزع كيانه الروحي بأفكار منحرفة ومتطرفة عن الاصول التي بني عليها الدين او المعتقد وهذا ما حصل في العصور الوسطى في الحروب الصليبية، اذ كشف بعض المفكرين الغربيين عن هذه المأساة الدينية بقولهم((جعلنا الحرب امرا يستحق الاحترام بان اضفينا عليها هدفا اخلاقيا وقد تصدينا للحرب بدرجة من التحضر تجعلنا في المثل العليا من اجل تبرير عملياتنا العسكرية)).(٥٩)

ثانيا: خطاب الكراهية الغربي.

يشير هذا المصطلح الى اي نوع من الحديث أو الخطابات التي تتضمن هجوماً أو تحريضاً أو انتقاصا أو تحقيرا من شخص أو مجموعة من الأشخاص بسبب أن أحدهم أو بعضهم أو جميعهم يحملون صفة انسانية مميزة مثل العرق أو الدين أو النوع الاجتماعي أو الرأي السياسي أو يرتبط بأشخاص حاملين لتلك الصفات، واعادةً يستعمل هذا الخطاب ليطور ويؤصل وينشر دعوة الى الكراهية والتمييز العنصري ضد حاملي تلك الصفات. (٦٠)

أما عن خطابات الكراهية الغربي ضد الاسلام فبعد أحداث ١١ايلول عام ٢٠٠١م تشكلت انعطافة حاسمة في سياق خطاب الكراهية الغربي وذلك من خلال التغطية الإخبارية لشؤون العالمين العربي والإسلامي في الإعلام الغربي فضلا عن تصريحات التيارات اليمينية المتطرفة، لذلك استغلت وسائط الإعلام المكتوبة والمرئية والمسموعة المتحيزة ضد العرب والمسلمين الهجوم على برجي التجارة العالميين في نيويورك ومبنى البنتاغون في واشنطن لوصف المسلمين بالاصولية والارهاب في مسعى لتبرير الهجوم على العالم الاسلامي بدايةً من أفغانستان و العراق،(٦١)واذا كانت ظاهرة صنع صورة مسيئة للاسلام في الغرب ذات جذور تاريخية فإنه يمكن ادراك بأن هذه الصورة السلبية(الإسلاموفوبيا) قد استأثرت بها خطابات الكراهية الغربية من طريق وسائل الإعلام خصوصا منذ العقد الاخير من القرن العشرين، إذ امست ظاهرة تشويه الإسلام في وسائل الإعلام الغربية ظاهرة جديدة بالبحث والمتابعة فقد تمكنت هذه الوسائل من نقل التحريض والتخويف من الكتب والدراسات الاستشراقية إلى اعمدة الصحف والمجلات وشاشات التلفاز على شكل خطابات ومقالات ومقابلات فغدت تلك الصورة واسعة الانتشار لدى الجماهير بعد أن كانت متداولة في اوساط النخب الغربية. (٦٢)

وقد تمكنت المحطات التليفزيونية الرئيسة مثل (السي أن ان) و (اي بي سي) وصحف كبرى مثل (نيويورك تايمز) و (واشنطن بوست) بضخ عدد هائل من التقارير والمقالات والتعليقات التي تشدد جميعاً على عداء العرب والمسلمين للغرب وتحذر من الخطر الاصولي الاسلامي الذي بنظرهم يسعى الى تدمير امريكا والدول الغربية، وترجع المادة الاعلامية الأمريكية الموجهة إلى القارئ العام إلى الصور التي روج لها الاستشراق من قبل. (٦٣)

أن وسائل الإعلام الغربي جميعها قد اشتركت في الترويج لخطابات الكراهية لا فرق بين السينما والاذاعة والتليفزيون والصحف والمجلات، فعلى مستوى السينما أذ تعد اهم المنابر الترفيهية اسهاما في صنع الوعي الجماعي والجماهيري في عصرنا الراهن إذ مارست السينما دورا كبيرا في الترويج للعداء ضد الاسلام وظهرت افلام تعبر عن ذلك من أهمها المخادعون، إرهابيون، اشرار، تجار نفط وشيوخ مترفون إذ صور العرب على انهم تجار مخادعون و معتوهون واغبياء وأخيراً مجرمون بأنوف معقوفة مستعدون للقتل بسيوف مشهرة حينا واسلحة آلية حينا آخر. (٦٤)

أما على صعيد الاذاعة والتليفزيون والصحف والمجلات أذ لا شك أن ما تقوم به الاذاعة والتليفزيون لا يختلف كثيرا عما تقوم به السينما الغربية من نشر خطابات الكراهية ضد الاسلام إذ تم التركيز على الحركات الاسلامية خصوصا في فلسطين وكانت مؤسسة الإذاعة و التليفزيون حريصة في نشراتها بالايحاء الى أن اعمال القتل والتدمير والتخريب تدخل في إطار التعاليم الاسلامية أذ تم ابراز الكيان الصهيوني المحتل في صورة الضحية رغم من يرتكبه من مجازر وحشية بحق الفلسطينيين، أما عن الفلسطينيين المدافعين عن ارضهم ومقدساتهم متعطشون للارهاب والقتل ولسفك الدماء وبالتالي على إسرائيل أن تبيدهم، أما فيما يخص الصحف والمجلات نكشف هنا بالإشارة الى بعض الاغلفة والمقالات المتطرفة في الصحف والمجلات الغربية ومنها (جذور الغضب الاسلامي) و(قنبلة الإسلام الموقوتة) و(الصين أيضا قلقة من الإسلام) . (٦٥)

كذلك نرى أن الخوف من الآخر المسلم (الإسلاموفوبيا) قد ظهر جليا في الخطاب الحزبي الأوربي واجندته السياسية خاصة مع الصعود اليميني المتطرف في اوربا ، إذ روج اليمين المتطرف لفكرة جديدة ترى بأن الهجرات القادمة من شمال افريقيا والشرق الاوسط هي سبب الازمة المالية التي اندلعت في عام ٢٠٠٨م ما ولد موجة عاتية من الكراهية ضد المسلمين الذين زاحموا الأوربيين الأصليين في الحصول على فرص العمل وجمعهم للثروات في الغرب، كما تزامن ذلك مع موجات اللجوء الجماعية القادمة من سوريا والعراق عبر تركيا عام ٢٠١٤م نتيجة العمليات الإرهابية فأزدهر ذلك الخطاب اليميني المفعم بالكراهية للمسلمين والذي بدى واضحا من خلال القرارات التي اصدرتها بعض دول اوربا بإغلاق حدودها أمام اولئك المهاجرين. (٦٦)

ومن الملاحظ أن أكثر الخطابات تطرفا لدى التيارات اليمينية في الغرب هي تجاه المهاجرين وعلى وجه الخصوص تلك الموجهة ضد المهاجرين المسلمين، أن مثل هذا الطرح يحيل مباشرةً نحو امكانية اقتراح تفسير آخر لصعود اليمين المتطرف وخطاباته وأن هذا التفسير مجرد نتيجة حتمية لاحقة لعداء مجتمعي وليس سياسي بل مستشري لدى غالبية الغربيين سياسيين ام مواطنين للاسلام ومعتنقيه يظهر في شكل عقدي يصور الإسلام كأيديولوجية رجعية أدنى مرتبة من القيم الغربية، لقد أدى التطور الاجتماعي والسياسي بعد عصر التنوير في الغرب وانفصال الدين عن الدولة الى اعتقاد راسخ في الوعي الأوربي بأن الحداثة تؤدي حتما إلى العلمانية وانسحاب الدين عن الحياة العامة لذا على الرغم من أن بعض دول اوربا قد قبلت بالمهاجرين المسلمين وسمحت لهم بشكل كبير أن يصبحوا مواطنين ويستقروا فيها الا أن الواقع يشير الى أن ساسة اوربا والمجتمع الأوربي ووسائل الإعلام لم ينجحوا في تقبل المسلمين كما هم بثقافتهم ودينهم.(٦٧)

إن الحديث عن العداء للاسلام في اوربا لا يندرج كما يروج الغرب ضمن حرية التعبير والنقد في عالمي الإسلام والحركات الإسلامية بل هو اقرب لتكوين نمط مسبق ينطلق من مسلمات تم تأصيلها في الثقافة الأوربية السائدة اولى هذه المسلمات الصلة العضوية بين الإسلام و العنف وثانيتها التعارض المبدئي بين الإسلام والديمقراطية وثالثتها العداء المطلق بين الإسلام والعلمانية، وعليه فأن خطابات الكراهية لقت رواجا متزايدا لدى النخب الغربية ليس لانه برنامج سياسي مقنع بقدر ما هو استجابة لنسق فكري وتصور نمطي في العقل الأوربي أو الغربي عن المسلمين، ومن ثم فأن خطابات الكراهية الغربية اقرب ما تكون لترسيخ ظاهرة (الإسلاموفوبيا) وانتشارها على نطاق واسع. (٦٨)

الخاتمة.

وفي ختام هذا الفصل نرى أن المرتكزات الفكرية لظاهرة الإسلاموفوبيا كان لها وقعاً كبيرا في تغذية هذه الظاهرة السلبية وفي اعتناق الأفكار والصور الزائفة عن الاسلام والمسلمين، أن هذه المرتكزات الفكرية ايضاً لها بعد تأريخي وان هذا البعد أو الامتداد التأريخي هو في الحقيقة حافل بكل جوانبه الفكرية والايديولوجية بالعنصرية والتمييز ضد الحضارات الاخرى وخصوصا الحضارة الاسلامية منها، فمثلاً المركزية الغربية هي مفهوم ليس بالحديث أو المعاصر وإنما يمتد عبر زمن طويل منذ الحضارة الرومانية واليونانية، وان المركزية الغربية كانت ولا تزال تؤمن بالنظرة الواحدية للعالم وإنها هي وحدها تشكل منارة العالم مما دفعها للتمحور حول الذات.

وفيما يخص التطرف الغربي وخطاب الكراهية ضد الاسلام فهو الآخر الذي شكل مرتكزا مهما للأسلاموفوبيا، إذ إن الحرب على الارهاب عقب أحداث ١١ايلول عام ٢٠٠١م لم تكن بالقرار الجاد الذي ينطوي على نوايا حقيقة في مقارعته للارهاب وإنما هو شن حرب على الإسلام بأسم الحرب على الارهاب مثلما هو الحال في خطاب الكراهية

حيث التحريض على المسلمين بأنهم خطر يهدد الغرب ؛ بسبب تمسكهم بعقيدتهم الاصولية وحركات اسلامهم السياسي، أما جانب التغريب الذي أخذ ابعادا مختلفة في اتباع وسائل مختلفة من أجل تغريب المجتمع الإسلامي واحلال ثقافة الغرب محل الثقافة الإسلامية فهو يعد منبعا اخرا لتأصيل مفهوم الإسلاموفوبيا، واخيرا الاستشراق الجديد أذ لم يكن مختلفاً عن الاستشراق التقليدي فمن خلال مرتكز ابحاثه وفي مقدمتها مؤسسة (راند) كان يبحث عن كل نقاط الضعف في المجتمع الإسلامي، أن الاستشراق الجديد لم يكن بتلك الصورة التي تحدث عنها المستشرقون الغربيون على أنه حقل معرفي أكاديمي في حين كان يبتعد عن كل ما هو معرفي واكاديمي في دراسة الإسلام والمسلمين في مجتمعاتهم بغية تحقيق اهدافهم المرسومة.

قائمة المصادر.

١-عبد اللطيف بن عبد الله بن محمد الغامدي ، المركزية الغربية وتناقضاتها مع حقوق الإنسان ، مركز التأصيل للدراسات والبحوث ، المملكة العربية السعودية ، ٢٠١٥م ، ص ٢٧.

٢-المصدر نفسه ،ص٢٨.

٣-عبدالله ابراهيم ، المركزية الغربية: اشكالية التكون والتمركز حول الذات ، ط٢ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٣م ، ص ١٣- ص ١٤.

٤- محمد عمارة ، بين العالمية الاسلامية والعولمة الغربية ، مكتبة الإمام البخاري، القاهرة ، للنشر، ٢٠٠٩م ، ص ١٨.

٥-حسن حنفي ، هل النقد وقف على الحضارة الغربية: فلسفه النقد ونقد الفلسفة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، ٢٠٠٥م، ص ٧.

٦-ربيعة دحماني ، بن شيخ سامية ، المركزية الغربية من منظور كلود ليفي شتراوس ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، جامعة محمد بو ضياف-المسلية ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، قسم الفلسفة، الجزائر ، ٢٠١٨م ص ١١. http:\\dspace.univ-msila.dz:8080\xmlui\handle\123456789

٧-تزفيتان تودوروف ، فتح امريكا ومسألة الآخر، ترجمة: بشير اليساعي ، دار سيناء، القاهرة، ١٩٩٢م، ص١١.

٨-جي أم بلاوت ، نموذج المستعمر للعالم: ثمانية من مؤرخي المركزية الغربية ، ج٢ ، ترجمة: هبة الشايب ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ٢٠١٠م ، ص١٣- ص ١٧ .

٩- موريس كروزيه ، تأريخ الحضارات العام ، ترجمة: يوسف اسعد داغر ، عويدات للنشر والطباعة ، بيروت ، ١٩٩٨م ، ص١٠٣.

١٠- محمد عابد الجابري ، مسألة الهوية: العروبة والإسلام والغرب ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٧م ، ص ١٢٠.

() عبدالله ابراهيم ، الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة ، دار الأمان، الرباط ، ٢٠١٠م ، ص ١٨٣- ص ١٨٥.

١١-حسن حنفي ، مقدمة في علم الاستغراب ، الدار الفنية، القاهرة، ١٩٩١م ، ص ١٤٢.

١٢-ادورد سعيد ، تغطية الاسلام ، ترجمة : سميرة خوري ، مؤسسة الابحاث العربية ، بيروت ، ١٩٨٣م ، ص٤٤.

١٣- فرانسيس فوكوياما ، نهاية التاريخ والانسان الاخير ، ترجمة: حسين امين ، مركز الاهرام للترجمة والنشر، القاهرة ، ١٩٩٣م، ص١٨٩-ص١٩١.
١٤- توفيق الطويل ، فلسفة والاخلاق ونشأتها وتطورها ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٩م ، ص ٢٠١- ص ٢٠٣.
١٥- يوسف كرم ، تأريخ الفلسفة الحديثة ، ط٦ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٩م ، ص ٧.
١٦- محمد عثمان الخشت ، صورة الإسلام عند هيجل ، مجلة الاستغراب ، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية ، العدد ١٠ ، بيروت ، ٢٠١٨م ، ص ٤٩.
١٧-مجدي عبد الحافظ ، صالح ، آرنست رينان ، المركز الثقافي للكتاب ، الدار البيضاء، ٢٠٢٠م ، ص٥٣.
١٨- حسان حتحوت وآخرون ، الإسلام في امريكا ، مكتبة الشرق الدولية ، القاهرة ، ٢٠٠٣م ، ص٤٧.
١٩-محمد عمارة ، الاسلام في عيون غربية ، دار الشروق ، القاهرة ، ٢٠٠٨م ، ص٦٣.

٢٠- عامر عبد زيد الوائلي ، صورة الآخر الحضاري: نقد الاستعلاء في المركزية الغربية ، مجلة الاستغراب ، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية ، العدد ١٠ ، بيروت، ٢٠١٨م ، ص ١٥٧.
٢١- عبد الوهاب المسيري ، العلمانية تحت المجهر ، سلسلة حوارات القرن الجديد ، دار الفكر ، دمشق ، ٢٠٠١م ، ص١٥.

٢٢-محمود محمد شاكر ، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ، دار المدني ، جدة ، ١٤٠٧هجري-١٩٨٧م ، ص ٨٧.
٢٣- ادورد سعيد ، الاستشراق: المعرفة-السلطة- الانشاء ، ترجمة: كمال ابو ديب، ط٥ ، مؤسسة الابحاث العربية ، بيروت ، ٢٠٠١م ، ص٤٦- ص ٤٧.
٢٤- جعيط هشام ، اوروبا والإسلام ، ترجمة: طلال عتريس ، دار الحقيقة ، بيروت ، ١٩٨١م ص٢٠.

٢٥- محمد عبد الله الشرقاوي ، الاستشراق وتشكيل نظرة الغرب للاسلام ، ط١ ، دار البشير للثقافة والعلوم ، القاهره ،٢٠١٥م ، ص١٩٣- ص ١٩٦.
٢٦- دانكن بلاك ماكدونالد ، تطور الدولة والفقه والكلام في الاسلام ، ترجمة محمد سعد كامل ، مركز نماء للبحوث والدراسات ، بيروت ، ٢٠١٨م ، ص٧.
٢٧- نقلا عن : بنسالم حميش ، العرب والإسلام في مرايا الاستشراق ، دار الشروق ، القاهرة ، ٢٠١٠م ، ص١٤٩ – ص١٥١.
٢٨- جوستاف بفانملر ، سيرة الرسول في تصورات الغربيين ، ترجمة : محمود حمدي زقوق ، مركز شيرين ، مصر ، ١٩٨٧ ، ص ٨٦

٢٩- خزعل الماجدي ، مخالب الاستشراق الجديد و رؤوسه الثلاث ،موقع الاتحاد ، تأريخ النشر ٢٠١٦م ، تأريخ الزيارة الساعة٩:٠٠ مساءً من الخميس ٢٠٢٢/١٠/٦م ، متاح على الموقع الإلكتروني: https://www.alittihad.ae
٣٠- برنارد لويس ، اين يكمن الخطأ ، ترجمة عماد شيحا ، دار الرأي للنشر ، دمشق ، ٢٠٠٦م،ص١٦٠.
٣١- عبد الله بن عبد الرحمن الوهيبي ، حول الاستشراق الجديد: مقدمات أولية ، مركز البحوث و الدراسات ، الرياض ، ٢٠١٣م ، ص١٣٧.
() أنور الجندي ، شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي ، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٧٨م ، ص١٣.

٣٢- فضل يونس خليل سعيفان، أنور الجندي و موقفه من الفكر الغربي الوافد ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، الجامعة الإسلامية بغزة، كلية أصول الدين، قسم العقيدة و المذاهب المعاصرة، ٢٠٠٦م، ص٧٦- ص٧٧ متاح على الموقع الاكتروني : https:\\www.kutubypdf.com\book36940

٣٣- محمد سيد محمد، الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر، دار الفكر العربي ، القاهرة، ١٩٨٣م ، ص٢١.

٣٤- محمد عمارة ، ماذا يعني الاستقلال الحضاري لأمتنا العربية الاسلامية ، دار ثابت ، القاهرة ، ١٩٨٣م ، ص٣.

٣٥- نقلا عن: محمد سيد محمد، المسؤولية الإعلامية في الإسلام ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٣م ، ص١٥٣.

٣٦- المرزوقي علي الهادي ، الغزو الثقافي اسبابه ومخاطره ونتائجه ، مجلة كلية التربية، الجامعة المفتوحة ،العدد ١٢ ، ليبيا ، ٢٠١٨ ، ص٩.

٣٧- عبد اللطيف محمد سيد أحمد ، الغزو الفكري والثقافي للأمة الإسلامية والتحدي والاستجابة ،مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ، جامعة الازهر ، القاهره ، العدد ٤ ، ٢٠١٩م ، ص ١٠٠ .

٣٨-خليل حسن محمد، عثمان محمد شريف ، ادوار التغريب في العالم الاسلامي وسبل مواجهته ، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، كلية التربية للعلوم الإنسانية ، المجلد ٢٥ ، العدد ١١ ، ٢٠١٨م ، ص٣٦٥.

٣٩-حذيفة عبود مهدي السامرائي ، التغريب الثقافي: آثاره وسبل مواجهته ، مجلة العلوم الاسلامية ، جامعة تكريت ، المجلد ١٠ ، العدد ٣ ، ٢٠١٩م ، ص٥.

٤٠-رامي ابو شهاب ، مابعد الكولونيالية: المنظور النقدي والمقاربة المنهجية ، مجلة ابو ليوس ،جامعة قطر،الدوحة، المجلد ٦ ، العدد ٢ ، ٢٠١٩م، ص ٦٨.

٤١ نبيل راغب ، موسوعة النظريات الأدبية ، دار نوبار للطباعة ، القاهرة ، ٢٠٠٣م ، ص ٥٤٨.

٤٢- محمد هاشم البطاط ، البعد السياسي للاستشراق في فكر ادورد سعيد ، دار دجلة للنشر والتوزيع ، المملكة الهاشمية الأردنية ، ٢٠١٥م ، ص٣٣٤ – ص ٣٣٥.

٤٣- واليا صدام ، ما بعد الحداثة ادورد سعيد و تدوين التاريخ ، ترجمة: عفاف عبد المعطي ، رؤية للإنتاج والتوزيع، القاهرة ، ٢٠٠٦م ، ص ٨٨.

٤٤- ادورد سعيد ، الاستشراق: مفاهيم غربية للشرق ، ترجمة: محمد عناني ، القاهرة ، ٢٠٠٦م ، ص٨١ – ص ٨٢.

٤٥- خيري منصور ، الاستشراق والوعي السالب ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ٢٠٠١م ، ص١٢.

٤٦- ادورد سعيد ، الثقافة و الامبريالية ، ترجمة: كمال ابو ديب ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٩٧م ، ص ٩٥.

٤٧-آنيا لومبا ، الكولونيالية وما بعدها ، ترجمة: باسل المسألة ، دار التكوين للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق، ٢٠١٣م ، ص٨٣.

٤٨- ديفيد كارتر ، النظرية الادبية ، ترجمة: باسل المسالمة ، دار التكوين للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، ٢٠١٨م ، ص١٢٥.

٤٩-جون أم. هوبسون، الجذور الشرقية للحضارة الغربية ، ترجمة: منال قابيل، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة ، ٢٠٠٦م ، ص ١٨- ص ٢٠.

٥٠- ريتشارد كوك ، وكريس سميث ، انتحار الغرب ، ترجمة : محمد محمود التوبة ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ٢٠٠٩م ، ص٢١٨- ص٢١٩.

٥١- خير الدين العايب ، في ظل البحث عن التكتلات الدولية وصراع الحضارات ومصالح الدول، جريدة البيان الإماراتية، تأريخ النشر ٢٠٠٠م ، تأريخ الزيارة الساعة ١:٣٠مساءً ، متاح على الموقع الإلكتروني: https://www-albayan-ae.cdn

٥٢- محي محمد مسعد ، ظاهرة العولمة: الاوهام والحقائق ، مكتبة الإشعاع ، القاهرة ، ١٩٩٩م ، ص٤٣.

٥٣- فرانسيس فوكوياما ، مستقبلنا بعد البشري عواقب الثورة التقنية الحيوية ، ترجمة: ايهاب عبد الرحيم محمد ، ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، ابو ظبي ، ٢٠٠٦م ، ص ٢٦٩.

٥٤- ريتشارد نيكسون ، امريكا والفرصة التاريخية ، ترجمة: محمد زكريا اسماعيل ، مكتبة بيسان ، بيروت ، ١٩٩٢م ، ص٢٠.

.

٥٥- هادي قيسي ، الخارجية الأمريكية بين الواقعية الجديدة ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ٢٠١٨م ،ص٢٥.

٥٦- فرانسيس فوكوياما ، امريكا على مفترق الطرق ، ترجمة: محمد محمود التوبة ، مكتبة العبيكان، ٢٠٠٧م، ص٢٦.

٥٧- نعوم تشومسكي ، طموحات امبريالية ، ترجمة:عمر الايوبي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ٢٠٠٦م ، ص ٣٦.

٥٨- راغب السرجاني ، نظرية نهاية التاريخ ، الموقع قصة الإسلام ، تأريخ النشر ٢٠١٧م ، تأريخ الزيارة الساعة ١٠:١٥مساءً من الثلاثاء ١٠/١١/ ٢٠٢٢م ، متاح على الموقع الإلكتروني: https://www.islamstory.com/ar/artical/3408350/

٥٩- المعهد الدولي للدراسات الإيرانية ، الرياض، ٢٠٢٢م ، عام على حكم طالبان: احكام القبضة داخليا وانسداد الافق خارجيا، متاح على الموقع الإلكتروني:https://rasanah-iiis.org/blog/category /

.

٦٠- حسن إبراهيم أحمد ، صدام المصالح وحوار الحضارات ، مؤسسة علاء الدين للطباعة ، دمشق ، ٢٠٠٤م ، ص ٦٤.

٦١- أنجمار كارلسون ، الاسلام و اوروبا: تعايش ام مجابهة ؟ ، ترجمة: سمير بوتاني ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة، ٢٠٠٣م ، ص ١٧١.

٦٢- محمد عابد الجابري ، قضايا في الفكر المعاصر: العولمة - صراع الحضارات – العودة إلى الأخلاق- التسامح- الديمقراطية – نظام القيم – الفلسفة والمدنية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٧م ، ص ١١٨.

٦٣- سعيد اللاوندي ، الإسلاموفوبيا الخوف المرضي وغير المبرر من الدين الإسلامي ، ط٣ ، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر ، الجيزة ، ٢٠٠٨م ، ص ٥.

٦٤- ليلى مداني ، نقد اطروحة صدام الحضارات وواقع تحليلها ضمن مفهومي الاصولية ومفارقة الارهاب ، مجلة دفاتر السياسة والقانون ، جامعة احمد بوقره مرداس ، كلية الحقوق والعلوم السياسية ، الجزائر ، العدد ١٥ ، ٢٠١٦م ، ص ٢٦٣.

٦٥- روجيه غارودي ، محاكمة الصهيونية الإسرائيلية ، ترجمة: عادل المعلم ، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٩م ، ص ١٧١.

٦٦- عبدالله صالح ابو بكر، حوار الحضارات: تحليل نقدي لظاهرة الإسلاموفوبيا ، هيئة الأعمال الفكرية ، الخرطوم، ٢٠٠٢م ، ص٧٢.

٦٧- محمد عمارة ، الحضارات العالمية: تدافع ام صراع ، دار النهضة ، القاهرة ،١٩٩٨م .

٦٨- علي ابراهيم النملة ، الاستشراق السياسي وصناعة الكراهية بين الشرق والغرب ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، ٢٠١٥م ، ص ٣٧ – ص ٣